

واحدة لا يغنى أحدهم عن سواه ، ويكمل أحدهم ما صنعه الآخرون ( ٨ ) .

( ٨ ) يحسن بي أن أستطرد هنا قليلا لألفت إلى بعض الجوانب المضيئة في تراث الرواد ، فقد قرأت في كتاب الديوان مقالا للأستاذ المازني عن لفظ الجنون في شعر عبد الرحمن شكري ، هذا اللفظ الذي كثر ترديده ، وربما كان الانتباه إليه ذا مغزى كبير يتصل أوثق الاتصال بالأصول الفكرية لشعر عبد الرحمن شكري ، ومن خلاله يعبر عن تصوره للزعة الرومانتيكية ، وإن كنت لا أحب استعمال المصطلحات الفضفاضة .. لفظ الجنون كان يستعمل عند شكري في التعبير عن حرية الفكر ، والمهبة الفردية ، واختصاص الفنان مع العرف ، ومحبة الجسارة على اللغة والمواضع العامة وروعة الحلم ، كذلك أستاذك في أن ألفت إلى مقال قيم عن التصغير في شعر أبي الطيب للأستاذ العقاد ، وفيه يتحدث عن وظيفة هذه الصيغة الأساسية وعلاقتها بأراء المتنبي العامة في المجتمع وطبيعة الإنسان وهو يرى أن هذه الصيغة متنوعة الدلالات ومتسقة تماما مع عقل أبي الطيب .

والحقيقة أن لدينا نماذج متعددة من بواكير الأسلوبية يجب العناية بها والاعتراف بمكانتها حفظا لحقوق التاريخ وتطور الأفكار ، وليس بصحيح أنجيل الرواد كان معنيا فحسب بمسائل الشخصية والصدق والعاطفة الناضجة . ويطول المقام لو أردت أن أستشهد ببعض الملاحظات الدقيقة للدكتور طه في كتابه مع أبي العلاء في سجنه حيث يلاحظ المفارقة بين العقل الرقور والتأمل الذي لا يعيا ومحبة التحليل والتقصي من جانب وما نسميه لزوم ما لا يلزم واللعب بالألفاظ من جانب . والمهم أنه كان يرى من الضروري إقامة جسر بين الجانبين بحيث لا يعيشان هكذا منفصلين في عقول الدارسين أي أنه كان يعاف وصف الفكر مفردا ووصف اللغة منفصلة . وقبل أن أختتم هذا الاستطراد أذكر بعض الأبحاث التي قدمها الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين في كتاب له بعنوان متنوعات فقد تحدث عن استعمال صيغة التفضيل في قول المسلم الله أكبر ، وتحدث عن معنى الظلم في القرآن ، فتتبع الفروق بين استعمال الصيغ المتعدية والصيغ اللازمة وأثر ذلك في بنية المعنى ، وخلص إلى أن استعمال الصيغة اللازمة ينصرف إلى معنى ظلم النفس ، وقال إن ظلم النفس مذهب إسلامي خالص يتميز عن مذاهب أخرى . وهكذا أريد أن اخلص إلى أن لدينا جوانب غير قليلة من عناية الرواد بالدراسات الأسلوبية من حقها أن تدرس لتعرف على التدقيق ماذا يصيب الذاكرة من عشرات ، ولتعرف الفروق بين قوم مضوا وآخرين مازالوا على الطريق يضيئون وينقلون .